

من القصص الروسى

المبارزة

تأليف الكاتب الروسى : نقولا بيليشوف

(فلاديمير كلادينوف) شاب طويل القامة ، وسيم الطلعة ، يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة يبدو لمن يراه أنه اصغر سنّاً مما هو عليه ، ذو وجه جميل وشعر مجعد متموج ، يرتدى لباس ضابط : بذلة رسمية وحذاء ركوب طويل ومعطفاً قصيراً وقبعة صغيرة ، وأقفاً وسط روضة مغطاة بطبقة رقيقة من الثلوج ، ينظر امامه إلى ضابط آخر ذى وجه احمر وشارب متوسط ، على قيد ثلاثين خطوة منه ، يرفع يده القابضة على مسدسه ثم يسدده نحو فلاديمير .

وقف فلاديمير وقد أطبق ذراعيه فوق صدره حاملاً في إحدى يديه مسدساً ، ولكنه كان غير حافل ولا مكترث لأنه كان ينتظر طلقة غريمه .

ورغمًا من ان وجهه الجميل كان يميل إلى الشحوب أكثر من المعتاد إلا انه كان يتلأل بالشجاعة ، وتظهر من ثناياه ابتسامة احتقار .

كان الموقف رهيباً : فيينا كان غريمه مصمماً على المبارزة إذ ابشاهديه تكاد أعينهما تلتهمه التهاماً ، وهناك الموت كان يرفرف فوق رأسه ، واليوم لا تزال تنعى حتى تلك الساعة من الصباح ، والدمار يشرف بعينيه الدمويتين من كل النواحي ، وساعة الفناء تقترب لحظة بعد أخرى ...

نعم : لقد كانت المسألة تمس الشرف فى صميمه ، ويجب الفصل فيها دون توان او تأخر ... وسمع طلق نارى فسرت رعدة فى قلوب الجميع حيث تدلت يدا (فلاديمير) إلى جانبيه ، وانحنى على ركبتيه ثم هوى إلى الأرض ... لقد كان راقداً فوق الثلوج مصاباً برصاصة فى رأسه ، بينما كانت يداه ورأسه ووجهه حتى الثلوج حوله ملطخة بدمائه البريئة .

وجرى اليه شاهداه ورفعاه عن الأرض وأكد الطبيب موته وحلت مشكلة الشرف ، ولم يبق هناك شىء سوى إخطار فرقته بنبأ موته ... ثم ... ثم بعد ذلك أو قبل ذلك إعلان الخبر — فى تحفظ وعناية — لتلك الأم التى أصبحت بموته فريدة فى الحياة ، لأن ذلك الشاب الذى قتل كان وحيداً ... !!

لم تكن الأم تعرف البتة شيئاً عن مبارزة نجلها ولم يعطها أحد اى فكرة عنها قبل ذلك ، ولهذا

كان القوم في حيرة وارتباك... واخيراً هدتهم الرأفة بتلك الأم الناكل إلى أن يصبوا إليها النبأ المر قطرة قطرة حتى تهون خجعتها وتخف صدمتها، فاختر (إيفان جولوبنسكو) كأصلح فرد يمكنه تأدية تلك المهمة الشاقة.

استيقظت (بلاجيا بتروفنا) من نومها وأخذت تعد طعام الإفطار، بينما دخل عليها (إيفان جولوبنسكو) مكفهر الوجه، مضطرب العقل... فبادرته السيدة العجوز بقولها:

— لقد وصلت يا إيفان وقت تناول الفطور تماماً، لا بد أن ابني (فلاديمير) قد دعاك لشرب الشاي معه؟

فأجاب إيفان باضطراب وخجل: لا... بينما كنت ماراً... ستغفر له تلك الهفوة، إنه لا يزال نائماً: لقد ذرع الغرفة ذهاباً وإياباً ليل، ولذلك فقد أمرت الخادم ألا يوقظه، ولكن أعتقد أن تكون قد جئت في مهمة ضرورية؟

— لا... بينما كنت ماراً أمام هذا المنزل رأيت أن ادخل لحظة أراكم فيها... إذا كنت تود أن تراه فاعلى إلا أن آمر الخادم فيوقظه.

— لا... لا... لا تكبدى نفسك مشقة ذلك.

ولكن (بلاجيا بتروفنا) كانت تعتقد أنه قد أتى ليرى وحيدها في مسألة تختص بهما، فتركت الغرفة متمتعة ببعض كلمات لم يسمعها إيفان...

سار (إيفان) في الغرفة ذهاباً وحيث هو منفعل محتاج الشعور ضارب إحدى يديه على الأخرى، تأخذه الحيرة كلما عاودته فكرة أداء مهمته. ولاملك نفسه من اضطرابه وارتبائه كلما فكر في كيفية إنباؤها بهذا النبأ المروع... كان الواجب عليه أن يبيت في الأمر، ولكنه فقد توازن عقله فأصابه الخجل، فلعن القدر الذي رمى به بين أنياب هذا الموضوع وألقى على عاتقه ذلك الحمل القادح.

عند ذلك دخلت (بلاجيا بتروفنا) على زائرها قائلة في تعجب:

— نجيل إلى أن الشباب ليس أهلاً للثقة، وأن الشبان لا يستحقون منا نحن المسنين أن نضع فيهم ثقتنا، فهأنذا كنت أحدثك عن ابني في نومه وحيطتى التي اتخذتها لهدوئه وحذري من أن اتصل بسمعه ضجة توقظه، ولكنه — كما يلوح لى — قد ترك فراشه منذ أمد لا أحسبه وجيزاً — دون أن يترك وراءه أثراً ما، ولكن لماذا لم تجلس لتتناول فنجاناً من الشاي؟ لقد أهملت زيارتنا يا إيفان في المدة الأخيرة إهمالاً كبيراً...

ثم ابتسمت ابتسامة نطقت بما يجيش في قلبها من مسرة وهناء، ثم استطردت في كلامها بصوت منخفض:

— وفي خلال تلك المدة التي غبتها عنا حدثت أمور كثيرة لا شك أن فلاديمير قد دفعه حبه لك وثقتك فيك إلى إشراكك معنا في معرفتها، ذلك أن (فلاديمير) ابني قد أمسى ذا قلب متفتح لأفانين الحب، ولا غرو فانه على وشك الزواج — حسناً .. إذا (كان فلاديمير) قد ذرع الغرفة ذهاباً وإياباً طول ليله فذلك معناه أنه يفكر في حبيبته لينوشكا - وإذا فعل ذلك فلا بد من أن يرحل في الصباح — آه يا إيفان إتنى لا أسأل الله إلا أمنية واحدة هي أن يبقى على حياته حتى أرى حفلة زواج ابني بمن يحب - وما ذا ينتظر من عجوز مثلي أكثر من أن تسأل ربه ذلك؟ إنه ليخيل إلى أنه لا حاجة بي إلى الصلاة والتعبد بعد أن أرى وحيدى ولينوشكا زوجين سعيدين فان ذلك كفيلاً بأن يجعلني دائمة السعادة والهناء، فإني ما فكرت في (فلاديمير) إلا ورأيت الحياة صفحة من الأمل العريض والأحلام الشبية .

وكأنما قد هزها تصورهما للسعادة، فترقق الدمع في عينيها، ولم يلبث أن سال وانحدر على خديها، على أنها أتمت كلامها قائلة :

— أتذكر يا إيفان تلك العقبات التي طالما عرقلت تيار هذا الموضوع .. ؟ حين لم يكن قد تمكن حب ابني من قلب لينوشكا ، وحينما كان الخلاف محتدماً بين أهل الخطيبة وبيننا بشأن (الدوطة) المهر - أتذكر كل تلك العقبات ؟ إنها ذلت جميعاً ، فلقد حصلت على (الدوطة) التي يطلبونها وقدرها خمسة آلاف روبل ذهباً ، نعم — وأيضاً كتبت إلى لينوشكا خطاباً مملوءاً بعبارات الحب ولواعج الغرام ... آه إن قلبي يكاد يطير فرحاً ... إنها فتاة جديرة بالاعزاز خليقة بالحب .

جلس إيفان يصغى إلى حديثها على أحر من الجمر، فقد كان يفكر فيما سيؤول إليه أمر تلك الأم الرؤوم من تعاسة وشقاء... كان يريد أن يتقطع عليها ذلك السيل المتدفق من العبارات ليخبرها أن قد انتهى كل شيء أن قد مات وحيدها (فلاديمير) وأن تلك الآمال الحلوة، وهاته السعادة التي يشدو بها لسانها ويترنم بها قلبها ستذبل في سرعة البرق وتذوى بعداً مد وجيز... كان يود أن يقول لها ذلك ولكنه أصغى إليها في سكوت محققاً بوجهها الصبوح ، غير أنه أحس في تلك اللحظة برجفة في حلقه وشروء في ذهنه، فكتم إحساسه في نفسه وأخذ ينصت إلى السيدة العجوز وهي تقول وكأنما قد سرى إحساسه إلى قلبها :

— ما بالاك اليوم حزناً مكفهر الوجه .. ؟ ولم تلعو وجهك تلك السحابة الدكناء ؟
كان (إيفان) يريد أن يقول: أجل ، على صفحة وجهي يبدو الحزن وعلى أديم محياي يلوح التألم ، وسوف تكون صفحة وجهك مهد آلام أشد وأقسى، وموطن احزان أمر وأنكى، حين تعلمين نعي ابنك، ولكنه استعاض عن ذلك بأن أشاح بوجهه كأن لم تواته أعصابه على تحمل ذلك، ثم ابتدأ يقتل شاربيه في تبرم شديد .

كانت (بلاجيا بتروفنا) غارقة في لجة من بحار أفكارها فلم تلاحظ ما عليه (إيفان) من القلق والصبر فاستمرت في حديثها قائلة :

— آه ... إني أحمل إليك السلام من لينوشكا ... لقد كتبت إلى في خطابها ترجوني بحرارة أن أبلغك أسنى تحياتها ، ثم تسألك أن تأتي مع (فلاديمير) لزيارتها ، إنك تعرف بنفسك كم هي تقدر صداقتك ... لا ... إنه ليخيل إلى أنني لا يمكنني أن أحتفظ به لنفسى ، يجب أن أريك إياه حتى ترى بنفسك جمال أسلوبه ورقة تعابير .

ثم أخرجت من جيبها حزمة من الرسائل أخذت من بينها خطاباً صغيراً وفضته أمام (إيفان) الذى اظلم وجهه ، وكست سحابة من الغم قلبه .. كان يحاول أن يتخلص من الموضوع ولكن (بلاجيا بتروفنا) كانت على تمام الاستعداد لأن تقرأ الخطاب فابتدأت :

عزيزتى (بلاجيا بتروفنا) : متى سيأتى ذلك اليوم الذى أتمكن فيه من أن أدعوك بوالدتي العزيزة الشفيقة ، إننى أنتظره بفروغ صبر وآمل أن سيحل فى القريب العاجل حتى أن رغبتى الشديدة فى قدومه تخيل إلى أن أدعوك من الآن بأسمى العزيرة .

توقفت (بلاجيا بتروفنا) عن القراءة ورفعت رأسها ثم نظرت إلى (إيفان) بعينين غصلتين بالدموع قائلة :

— إنك لترى يا إيفان ...

ثم توقفت عن الكلام حينما رأت (إيفان) يعض شاربته بقلق بينما يترقق الدمع من مآقيه ، فوضعت يدها المضطربة على شعره ثم قبلت جبهته فى سكينه وهدوء وقالت بصوت منخفض أفصح عن تأثرها :

— شكراً لك يا إيفان فلطالما كنت اعتقد أنك أنت و فلاديمير اخوان أكثر منك صديقين سألحى يا ولدى .. إن هذه السعادة فوق ما أحتمل ، أشكرك ياربى ...

ثم انهمرت دموعها بغزارة على خديها واضطرب إيفان واربتك أيماء ارتباك حتى أنه لم يستطع إلا أن يمسك بيدها الباردة ذات العظام البارزة ، ويمطرها وابل من القبلات ... لقد خنته العبرات وترجع الدمع فى عينيه ، فلم يستطع النطق بكلمة واحدة ، وفى وسط ذلك الحنو الأسمى أحس إيفان بعار يتلبسه حتى آثر فى تلك الساعة أن لو كان ملقى وسط الحقل وقد أصابته الرصاصة فى رأسه ، على أن يسمع بأذنيه عبارات المديح فى صداقته وكلمات التقريظ فى أخوته من تلك المعجوز التى ستعرف حقيقة موقعه بعد نصف ساعة على الأكثر ، وماذا عساها تظن به ؟ ألم يكن ذلك الصديق بل الأخ الذى وقف مكتوف اليدين بينما المسدس مصوب نحو (فلاديمير) ؟ ألم يكن ذلك الأخ بعينه هو الذى قاس المسافة بين المتخاصمين ؟ ألم يكن هو أيضاً الذى اختبر مسدسهما ؟ بلى لقد فعل كل ذلك ، وبمحض إرادته ... والآن ها هو ذلك الصديق بل ذلك

الأخ يجلس صامتا وليس لديه الشجاعة حتى ليؤدي المهمة التي من أجلها أتى !!!
كان خائفاً ، فقد شعر بضعف في قلبه وحشيرة في حلقه وأسى يعتريه بشدة ، وكلما أحس
بذلك كلما خارت قواه عن تجريد (بلاجيايتروفنا) من لحظات سعادتها الأخيرة ، وماذا يقول لها
وكيف يبدأ الكلام ؟ لهذا فقد (إيفان جولوبنكو) شعور كلية.

كان أمامه الوقت متسعا كما يلعب في نفسه المبارزات والشجار وكل أنواع البطولة ، وكل نزاع
على ما يسمى « رد الشرف » وأخيراً قام من مقعده واستعد : إما للاعتراف أو الفرار ، وبكل
هدوء وسرعة أمسك بيد (بلاجيايتروفنا) وانحنى عليها حتى لثمها ، وعلى حين غرة استسلم تماماً
إلى ضعفه ، فأخذت تتحدر العبرات من ماقية كأنها السيل المتدفق ، وفي لحظة — وبدون
أى تفكير — جرى إلى الردهة الخارجية للمنزل وأخذ معطفه ثم ولى هارباً دون كلمة واحدة
فنظرت إليه (بلاجيايتروفنا) في تعجب ثم قالت في نفسها :

— لا بد أنه هو الآخر يجب ... حسناً ! إن ذلك ما هو إلا تكديرة بسيطة تسبق السعادة المنتظرة !
وفي الحال نسيتته وتغلغل في أحلامها عن السعادة التي خيل إليها أنها لا يمكن أن تمس
بمسوء ما
محمد احمد عبد الله

الصفات الوراثية والصفات المكتسبة

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١٢٢٠)

- ١ - إن الصفات العارضة للانسان في حياته ، جسمية كانت أو عقلية أو خلقية ، لا تنتقل بالوراثة إلى أولاده كما هي .
- ٢ - كانت الصفة المكتسبة هي حدوث خلل في بعض الأعضاء بحيث يتضائل أو يصبح عاطلاً فأنها لا تنتقل بالوراثة .
- ٣ - إن الصفات المكتسبة التي تسمم الجسم أو تحدث خللاً في المجموعة العصبية على الأخص تؤثر في النسل تأثيراً كبيراً .
- ٤ - إن الصفات المكتسبة التي تتكرر أجيالاً ربما تصبح وراثية كما هو مشاهد في تطور صفات الأنواع على حسب مذهب النشوء .
- وبعبارة أشد اختصاراً من هذه يمكن أن يقال : إن الصفات التي نأخذها عن آبائنا بالوراثة تنتقل إلى أبنائنا بالوراثة أيضاً ، أما الصفات التي نكتسبها في حياتنا فأنها لا تنتقل كما هي وإنما ينتقل ما تحدثه في المخ أو غيره من الأعضاء الحيوية من آثار .
- وسنتكلم عن كيفية الانتفاع بقوانين الوراثة في نواح مختلفة ، وعن الوراثة والزواج ، في عدد آخر إن شاء الله

حامد عبد القادر